

تأليف
علاء الدين طعيمة

دار الدعوة

فخار بن عجيب



- ❖ سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق .
- ❖ أغرب الرحلات والمفارقات .
- ❖ تجمّع بين المتعة والمعرفة .
- ❖ لا غنى عنها في الرحلات والبيت
والمواصلات

جوهرة

المصقية المظلمة

عندما يتنافس عواء الذئب مع
عصف الرياح ، عندما تسود شهور
الظلام تكون أسطورة الشمال
الرهيبة .. المنطقة المتجمدة .
الشلجة العملاقة .. أرض
المفارقات المذهلة عليك يا بني
بالإحتياط من البرد .. إنه قاتل
مميت لمن لم يعتاد عليه .

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : ٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
ت : ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة : ٣٨٣٢٧٤٧

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً

٦

جوهرة

الصقيع المظلم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

رقم الإيداع القانوني

١٩٩٦/٥٩٤٥

الترقيم الدولي : 054- 977-253

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائي
أو تليفزيوني أو إذاعي أو مسرحي أو شرائط فيديو
إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ش منشأ محرم بك الإسكندرية .

ت : ٤٩٠ ١٩١٤ - ٤٩٠ ٧٩٩٨ .

مكتب توزيع القاهرة : ٣٨٣٢٧٤٧

جوهرة السقيع المظلم

تأليف: علاء الدين طعيمة

رسوم : يسري حسن .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«مغامرات مؤمن»

قمة الفرحة أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

عندما يتنافس عواء الذئب مع عصف الرياح،
عندما تسود شهور الظلام، تكون أسطورة الشمال
الرهيبية .. المنطقة المتجمدة .. الثلاجة العملاقة ..
أرض المفارقات المذهلة عليك يا بنى بالاحتياط من
البرد .. إنه قاتل مميت لمن لم يعتاد عليه، بعد قليل
ستنزل فى الخليج الذى لا يمكننا أن نرسو عليه فى
الشتاء .. لا أدرى كيف أصدق هذا الكلام الذى
قلته عن الجواهر والتاج؟! كيف تخاطر بحياتك من
أجل التاج أو جواهره؟! إنك لغلام جرئ حقاً ..
على العموم لقد اقتربنا .. بعد أن تخرج من هذه
الغرفة ستجد السفينة قد رُفعت عنها هذه الشراع
الكبيرة .. واستعدت للرسو، هيا جهز متاعك ..

فلا وقت عندي أكثر من دقائق معدودة . . . أنا لا أطيق النظر في كل هذا الجليد الأبيض .

كانت هذه هي الكلمات التي سمعها مؤمن من قبطان السفينة الشراعية التي استقلها إلى أرض تسمى «ألاسكا» في قمة العالم الجغرافية . . حيث القطب المتجمد الشمالي . . لقد استدل في قريته أن الجوهرة السادسة توجد في الجليد الأبيض ، ولقد عانى كثيراً؛ حتى عرف موقع بلاد الثلج والجليد والبرد القارص .

رست السفينة ولم ينزل منها سوى الغلام المسلم المصري مؤمن ، يحدوه الأمل في العثور على جوهرة بأسرع وقت ، ويشمله رعب كبير من هذا الأبيض الذي يصنع رداء محكما لا تشوبه شائبة لكل شيء أمامه . . ولحسن حظه أنه قد هبط هذه

الأرض فى فصل الصيف.. ورغم ذلك ورغم أنه كان يرتدى ثياباً ثقيلة أعدها خصيصاً لذلك؛ إلا أنه شعر بالبرودة تغزو أطرافه وتتسلل فى خبث إلى جسمه، بل وإلى دمه.

ووقف ينظر أمامه وكاد أن يغشى عليه من العجب العجائب وقال يصيح مندهشاً:

- يا إلهي.. جبال الجليد.. الجبال تتحرك وتعم فى ماء البحر كأنها طوف من الخشب ما هذا؟! إنه لشيء عجيب أن تكون الجبال كلها من الجليد.. من الماء المتجمد فقط.

لم يكن يدرى أن فصل الصيف بشمسه المشرقة يذيب الجليد بدرجة كبيرة بعد ظلام الشتاء القارص البرودة، والذي كان يرخى سدوله شهوراً طويلة، وبهذا يأخذ الثلج الذى يغطى صفحة الجليد فى

الذوبان، وتحدث نتيجة لذلك البحيرات والبرك
الفسيحة. . وتظهر أطواف الجليد المتجمدة التي
تشققت عن بعضها وأخذت تتسابق عائمة في طرق
صنعتها الرياح والتيارات المائية.

وقف لا يدرى من أين يبدأ السير؟ وإلى أين يمكنه
أن يتجه؟ ولكنه وجد قدمه تسبق الأخرى في
خطوات سريعة ليتفادى هذه البرودة بالحركة التي
تشيع بعض الدفء في جسده .

كاد سيره أن يصبح جرياً، وعيناه لا تدعان جبال
الجليد المتحركة التي يبلغ طول الواحد منها ميلاً أو
أكثر. . ويرتفع فوق سطح البحر بأكثر من ألف
قدم، ويبلغ حجم الجزء الغاطس منه تحت سطح الماء
سبعة أمثال حجمه الظاهر فوقه.

وكان مؤمن فى بداية الأمر يحسب أن هناك مكاناً
يمكنه أن يحتوى فيه من غرابة الطقس وخطورته . .
إلا أنه لم يجد سوى الماء . هنا البحر المترامى
الأطراف، وهذا الماء السائل أو المتجمد - سأل نفسه
وهو يهرول لا يدرى أين وجهته؟ . . هل هناك حياة .
فى هذا المكان؟!

ومر وقت طويل وهو يجرى باحثاً عن أى شئ
آخر غير 'الجليد، ولكنه فشل . . كل ما كان يهمله أن
يهتدى فى طريقه قبل حلول الليل . . ولقد ظن أنه قد
فقد الإحساس بالوقت؛ عندما شعر بأن الشمس لم
تغب بعد رغم أنه قد قضى وقتاً طويلاً من النهار كان
كافياً لغروبها.

أخذ يلهث وتعب من اللون الأبيض الذى أصبح
خانقاً . . وتمنى لو لمحت عيناه أى شئ بلون مختلف

ولكن البياض طغى على ناظريه، وفاض فى عقله،
وانسكب على قلبه وغشى وعيه.. فلم تكن هناك
فسحة من المقاومة.. لقد سقط مغشياً عليه بعد
معاناه شديدة، وعلى كتيب من الثلج انحدر جسمه
كالكرة، حتى هوى أسفله لا يدرى من الدنيا أى
شئ.

ولم يدر بعد ذلك إلا أن صياداً عجوزاً من أهل
المكان قد عثر عليه وحمله وأنقذه من الهلاك إلى
قاربه، ومضى به حتى أتى إلى منزله الذى يقع بين
عدة منازل أخرى مبنية بالأخشاب والطين؟ وحول
المنازل بعض الأكواخ المصنوعة من الجلد، غير هذه
الخيام التى يقضى فيها الإسكيمو أيام الشهور الدافئة
فى الصيف.

وبجهد كان يفتح جفنيه، وهو يتذكر بسرعة آخر

ما كان يعاني منه من صعب، وتذكر البرد القارص، ولكنه كان يشعر الدفء الحقيقي.. وشعر بأن ناراً تدفئ المكان، وبعد أن ذهبت غمامة عينيه نظر حوله ليجد حلقة داخل حلقات أكبر من الوجوه الملتفة حول فراشه، وهى تتطلع إليه بين الشغف والعجب.

إنهم الإسكيمو.. الجلد نحاسى اللون.. عظام الخدين بارزة بعض الشيء.. الشعر الأسود المستقيم الناعم.. والعيون السود.

وبعد قليل، أدرك مؤمن أنه موجود فى بيت من بيوت الإسكيمو.. وأن صياداً عجوزاً قد عثر عليه أثناء تجواله، وأنقذه من الموت المحقق، وحمله فى قاربه الصغير إلى بيته، وأن خبره قد انتشر فى كل القبيلة لذا فهم جميعاً يلتفون حوله حينما تنادوا بينهم «إن الغريب يتماثل للشفاء».

وبصعوبة بالغة استطاع مؤمن أن يشرح لهم مدى شكره وامتنانه لضيافتهم له، وكان لا يفارق الغطاء فترة طويلة حتى لا يصاب بالبرودة، ولكن لهو الأطفال أمام البيت وحركة الناس دفعته رغماً عنه إلى القيام والخروج وأشد ما أدهشه أنه كلما استيقظ من نومه يجد النهار مستقراً، ولم يصادف الليل أبداً منذ أن حل بهذه البلاد.

كانت أسرة الصياد مكونة من الصياد الكبير السن، وزوجته وابنه «سيناي» الذي كان في نفس عمر مؤمن تقريباً، لذا فكان دائماً يجلس إليه، ويحاول أن يفقهه في لغتهم، كان ماهراً في تعلم اللغة العربية لـ «سيناي»، ورغم ذلك فلقد استطاع أن يتعلم كثيراً من كلمات الإسكيمو وبعض عاداتهم في الحياة.

ولقد نفذ صبر مؤمن وبعد أن كان يستحي أن يسأل سيناي عن النهار الطويل الذي يعيشون فيه، لم يصبر أكثر من ذلك وسأله قائلاً:

- أرجو ألا تظن بى الجنون يا سيناي .. أنا لم أر الليل مذ أتيت إلى بلادكم .. فكلما احتجت للنوم نمت والشمس تدور فى السماء وأستيقظ فى أى وقت لأجد الشمس كما هى .

ضحك «سيناي» ضحكاً شديداً وقال له:

- بل إنك لمجنون حقاً .. عندما كنت تتساءل فى نفسك من فترة طويلة، ثم لا تسأل حتى تعرف الحقيقة .. يا صديقى المصري .. إن الشمس لا تغيب عندنا طيلة شهور الصيف .

كاد مؤمن أن يصعق من الدهشة وقال:

- لا تغيب الشمس بالشهور؟!...! . أيعنى هذا

أنه لا ليل على الإطلاق؟!!

قال «سيناي»:

- نعم يا صديقي... فإذا حل فصل الشتاء

اختفت الشمس تماماً، وأصبح الليل هو السيد، فلا

وجود للنهار حتى يحل شهر يونيو من جديد ويبدأ

النهار فى السيادة من جديد.

لم يكن مؤمن يصدق هذا الكلام، وظن أن

سيناي يسخر منه، ولكنه تذكر جيداً أن الليل لم

يظهر ظلامه منذ أن جاء لهذه البلاد.

وقال له «سيناي» قاطعاً عليه حبل الأفكار.

- من حسن حظك أنك قد أتيت بلادنا فى فصل

الربيع... هيا لنخرج، دع الكسل ولتمتع بالحياة.

كانت السعادة تملأ جوانب النفوس ، وبدا الناس وكأنهم فى أجازة جميلة . . ولم يكن هناك ليل ؛ فالنهار دائم . . والأطفال فى لهو دائم بصيد السمك بالسنانير ، أما كلاب الإسكيمو الشهيرة تنعم باغفائة هادئة من الشمس التى حرمت منها طيلة الشتاء .

خرج مؤمن من بيت الصياد يشاهد أزهار هذه المناطق ، وأعادته شجيرات القطن المزروعة على حواف البحيرات الضحلة إلى ذكريات حقول القطن ببلده مصر . . ثم أخذ يتجول مع سيناي وهما يتابعان فرحة الناس بالربيع ، ولما عادا إلى البيت وجدا العم «مينوي» والد سيناي وهو يستعد للخروج فى رحلة صيد عجول البحر وقال العم مينوي لمؤمن :

- عليك بالانتظار فى البيت ريثما أعود أنا وسيناي

من رحلة الصيد . . ولا تبتعد عن المكان كثيراً .

ولكن مؤمن أعرب بنظرة حزينة عن رغبته في الخروج معهما إلى رحلة الصيد وتناقش مع العم مينوى الذى وافق فى نهاية الأمر على ذلك ، وكان الاستعداد للرحلة على قدم وساق . . أما مؤمن فكان يشاركهما الاستعداد ولما تهيأوا للخروج جلسوا يأكلون حتى لا يصابون بالجوع مع بداية الرحلة ، وأثناء الطعام قال مؤمن متسائلاً :

- هل تعتمدون على الصيد اعتماداً كلياً يا عم مينوى؟

فقال «مينوى» العجوز :

- لقد تعود مواطن الاسكيمو يا ولدى على شطف العيش فى البرد والجليد ، واعتمد أيضاً على الصيد

وحده كمصدر للرزق وخصوصاً صيد البحر . . إننا لا تكفيها هذه الخضروات البسيطة التي نزرعها في شهور الصيف . . نحن نصيد عجل البحر فنأكل لحمه ونستخدم زيتته في الوقود والتدفئة.

إن الإسكيمو يتميز دائماً بالخدمة، وسعة الأفق . . لقد تعودنا يا ولدى شطف العيش، وتعلمنا كيف أن الفشل هو الطريق للنجاح.

ولما انتهوا من طعامهم وحديثهم قاموا يحدوهم الأمل في صيد كبير حتى يدخروه لأيام الشتاء السوداء، والتي يصعب معها أى شئ . . مهما كان.

وخرج مؤمن ومعه سيناى يجهزان الزحافات التي تجرها الكلاب، وأثناء ذلك وجدا رجلاً يدخل الدار على مينوي العجوز ويبدو عليه الغضب، ولما سأل

مؤمن عنه ، قال سيناي وقد بدا عليه الضيق :

- إنه ساكوم - رجل شرير - ورغم ذلك فهو أكبر
تاجر في البلاد. . .

فقال مؤمن :

- أرجو ألا أكون متطفلاً إذا سألتك عن سبب
غضب وجهه ، وماذا يريد من أبيك؟

فقال سيناي :

- الحق يا مؤمن . . إن هذا الرجل له دين كبير
عند أبي . . ولكن أبي لا يقدر على سداد الدين . .
وهذا الساكوم يعامل أبي بقسوة كلما حضر إلينا.
ولم يتم سيناي كلامه حتى خرج الرجل وهو
يتفوه بكلمات تهديد ووعيد.

وجريا يدخلان على العم مينوى ليجداه بملابس
الصيد منطرحاً على فراشه، وقد أجهشت زوجته فى
البكاء، وعندما كلمه سيناى وجده فقد القدرة على
الحركة، وقال لابنه بصعوبة بالغة:

- إن الساكوم سوف يبيع منزلنا وكلابنا وكل ما
لدينا إذا لم نسدد له الدين قبل الصيف القادم .. لقد
هددنى يا ولدى ... ماذا سأفعل؟

ساد صمت رهيب عندما كان طبيب القبيلة
يفحص العم مينوى وقال وقد انفرد بسيناى ومؤمن:
- لقد مر العم مينوى بأزمة أكبر من قدرة جسمه
العجوز على الاحتمال، ولذا فقد شُلَّت رجلاه ..
والعلاج لن يفيد كثيراً إذا كان بالدواء فقط، ولكن



قد يستطيع القيام والمشى إذا خرج من همومه
وأحزانه.

* * *



كان الكل نياماً فى الدار، ومؤمن يأبى النوم.. ها
هى الرحلة لم تتم، وها هو الرجل الطيب الذى
أنقذه من الموت يعانى من مرض شديد، ويهدده هذا
الجبار المدعو ساكوم بالطرد من الدار ونزع كل ملكياته
عنه. أخذت الأفكار تتضارب فى رأسه، وتذكر
والدته صانعة السلال بمصر، وتذكر أنه قد أتى لهذه
البلاد من أجل جوهرة التاج الذى عثر عليه فى
مخزن جده الذى مات من زمن بعيد، وتذكر
مغامراته السابقة من أجل الحصول على الخمس
جواهر السابقة.

تذكر أن لكل جوهرة مغامرة، ثم عاد يفكر فى
مينوى والنهار الذى لا ينتهى والشمس التى لا
تغيب، وشعر بالرثاء لحال الإسكيمو، لهذه الحياة
الصعبة التى يحيونها.

وأخذ يفكر . . كيف يمكن أن يسد هذا العم
مينوى كل مبلغ الدين للشرير ساكوم . . إن المبلغ
كبير جداً، فمن أين سيحصل عليه؟ . . وظل هكذا
حتى استيقظ سيناي من النوم وجاء إليه يسأله:

- مؤمن لماذا لم تأخذ قسطاً من الراحة؟ . . إن
كل من فى البيت نائمون.

فقال له مؤمن:

- أفكر يا سيناي . . . أنا حزين من أجل والدك
مينوى العجوز . . لابد أن نجد وسيلة لسد هذا
الدين، ويبدو أن سيناي أيضاً قد أجهدته التفكير فى
هذا الأمر، فلمح مؤمن قطرات من الدموع تتساقط
من عينيه، وأصابته شفقة على صديقه سيناي، وقال
له:

- إسمع يا سيناي إنني لا يمكنني أن أقف مكتوف الأيدي تجاه هذا الوضع كما أنني أرى أنه من الوفاء أن يكون لى دور معكم لعبور هذه الأزمة لقاء ما أكرمتمونى وجزاء ما أنقذنى والدك من الهلاك .

وبينما يربت على كتفه لمعت فى ذهنه فكرة فقال
بسرعة:

- سيناي . . هل تذكر يوم حكيت لى عن صيد الحيوان الذى تسمونه الكاريبو؟ . . . لقد قلت لى أن هذا الحيوان غالى الثمن . . ماذا لو اصطدنا منه ما يكفى لسد الدين؟

رغم دموع سيناي إلا أنه ضحك من مقولة مؤمن وقال له:

- إنك تمزح يا عزيزي . . حقاً أنت تمزح . . ثم

من سيفعل ذلك؟ أنا وأنت؟ هذا فى الخيال . . . إن
 قطع الكاريبو يحتاج إلى عشرة رجال على الأقل،
 ويحتاج صيده إلى خبرة طويلة . . . والأصعب من
 ذلك أن هذا الحيوان يقطن الأماكن التى تبعد عنا
 بمئات الكيلو مترات . . . ماذا تظن يا صديقي؟

فقال مؤمن:

- لا يهم يا صديقى لا يهم . . . سنفعل شيئاً من
 أجل مينوى العجوز . . . تصور وتخيل لو تمكنا من
 صيد قطع كامل . . . فكم ستكون الفائدة عظيمة؟
 نظر سيناي لمؤمن، وقال يؤمن على كلامه:

- وأى فائدة يا صديقي . . . إن الكاريبو يعتبر
 مخزن التموين المتحرك . . . فمن وبره نصنع الأردية
 والأشولة والأحذية والأغطية، كما نتخذ من جلده

الممشط مقاود للكلاب، وخياماً وجرادل وقوارب
الصيد؟ نصنعها كلها من جلد الكاريبو... أتعرف
أيضاً أننا نصنع من عضلات لحمه الكرايبيج والخيوط
والحبال التي نربط بها الحراب؟ ومن عظامه وقرونة
المتشعبة نصنع السكاكين والخناجر والسهام والإبر؟
ومن نخاع عظمه نتخذ الدهن والوقود؟ وفوق ذلك
فإننا لا نترك أى شئ فى جسم الكاريبو دون أن
نأكله... بدءاً من العينين حتى الحشائش التي يتم
هضمها فى معدته والتي نصنع منها سلاطة التندرا.

ابتسم مؤمن لكلام سيناى وقال له:

- إذن... لا بد أن الواحد منها يباع غالى الثمن...
إذن علينا أن نخرج لصيد هذا الحيوان... هذا أبسط
ما نفعله مع العم مينوي.

فنظر سيناى حائراً نحو فراش أبيه وقال :

إنه ضرب من الخيال يا مؤمن . . أن يخرج
غلامان لصيد قطيع من الكاريبو . . ! والذى رغم كبر
سنه لم يخرج لصيد الكاريبو إلا مرات معدودة ،
وضمن عدد كبير من الرجال . . حقاً إننا لو حصلنا
على القطيع لتغير حالنا تماماً ، ولأسكتنا هذا الساكوم
المزعج . . أنت شاب تتميز بحماسة شديدة وهذا ما
يخيفنى .

ظل مؤمن على حاله يحاول إقناع سيناى
بفكرته ، وكان الآخر يرفض ، وذات مرة بينما هما فى
نقاشهما ، إذا بالعم مينوى ينادى على سيناى وقد
سمع حوارهما فقال له :

- سيناى يا بنى . . . لقد سمعت حديث الشاب

مؤمن . . . إنه غلام صالح قوي . . . وأنا سيأكلنى
الحزن من أفعال ساكوم اللعين . . . يا بني . . . اسمع
كلام صديقك واخرجنا فى أثر الكاريبو . . . هذا
أمل . . . مجرد أمل . . . والفائدة من ذلك ستكون
كبيرة . . . إذا لم تفلحنا فى ذلك فعلى الأقل
ستعلمان من هذه الرحلة أشياء عظيمة وتكتسبان
خبرة كبيرة . . . اخرج يا بني ولا تخف عليّ . . . أنا
فى رعاية الله، ثم فى رعاية أمك حتى تعود بإذن
الله .

ابتسم مؤمن من كلام العم مينوى وقال له :
لقد ذكرنى كلامك هذا ببلدى ودينى . . . لقد
تعلمت ألا أقول - مثلاً - أنت فى رعاية الله وأمك
ولكن أقول فى رعاية الله ثم أمك . . . لأن مشيئة

الله وقدرته تعم كل الخلائق وتسبب كل الأسباب .
فقال له مينوى العجوز :

- أنت غلام طيب يا مؤمن .. وأنا لا أخاف
عليك ولا على سيناي .. فالله معكما لأنكما تصنعان
خيراً .

تجهز مؤمن وسيناي فترة طويلة من الوقت ، فأخذا
يعدان العدة للخروج فى هذه الرحلة ، وجلسا كثيراً
إلى مينوى الذى كان يكلمهما عن عادات الكاريبو
وأماكن تواجده وكيفية الصيد .. وبدا الأمر فى أوله
مستحيل الحدوث .

فلقد استمر التجهيز والإعداد للرحلة حتى إذا
اقترب فصل الشتاء أتما إعداد القارب الخفيف من جلد
الكاريبو المشدود ، وأعدا حراباً كثيرة وسهاماً وحبالاً ،

واستطاعا أن يوفرا عدداً لا بأس به من الكلاب
الأصيلة من نوع «الهسيكي».

ثم خرجا فركبا القارب يجوبان البحر الكبير لعدة
أيام وكان عليهما الاستعداد للاستغناء عن القارب
مع قرب حلول الشتاء حيث أن البحر سوف يتجمد
فى الشتاء، ومما يجعل أمر الرحلة بالقارب
مستحيلاً.

وأثناء الرحلة حدث ما توقعاه، فلقد بدأت تظهر
رقعٌ كبيرة من الجليد تطفو على صفحة الماء، مما
أصبح يعوق حركة القارب ولقد نفذ ما كان لديهما
من طعام، وأصابهما الجوع الشديد، كما حدث
ذلك أيضاً للكلاب التى كانت ترافقهم الرحلة. فقال
سيناى لمؤمن:

علينا أن نستغنى من الآن عن هذا القارب . . هيا
فلنعد الزحافة ونربطها بالكلاب .

ولكن مؤمن اعترض قائلاً:

- قبل ذلك . . لابد أن نفكر فى طعام لنا، ولهذه
الكلاب . . ؟

فقال سيناي:

- مؤمن . . إننا فى أوائل شهر نوفمبر . . إن
الخلجان والأنهار يتجمد سطحها، وها هو الثلج قد
بدأ يظهر فوق ماء البحر الكبير، لا تقلق بشأن
الطعام . . فقط جهز حربتك وعندما سنأتى إلى
سطح كبير من الثلج سنهبط لنطلق للكلاب العنان؛
فهى ستدلنا على مكان عجول البحر .

وبالفعل هبطوا جميعاً من القارب، وأمسك مؤمن

وسيناي كل منهما بحربة ذات سن حاد ومربوطة من وسطها بحبل طويل ملفوف على الذراع، وانطلقت الكلاب الجائعة تجرى فوق مسطحات الجليد تبحث بأنفها عن شئ تعرفه حق المعرفة . .

. إن عجول البحر تنشئ في الجليد ثقباً ؛ لتنفس منها وهي بداخل الماء القابع تحت سطح الجليد، ولقد سمع سيناي ومؤمن نباح أحد الكلاب فعرفا أنهما قد عثرا على ثقب منها، فأتياه ليجدا عدة ثقوب يتخذها عجل البحر ليتنفس منها وهو تحت الماء، فمسك كل واحد منهما حربته، وانتظر أن يصعد أحد العجول للتنفس منها وهو تحت الماء . وكان مؤمن مستعداً متحفزاً، ورغم أنها أول مرة يصيد فيها ذلك النوع من الصيد إلا أنه لم يدخر هذه الفرصة عندما لمح شارب العجل وأنفه تمتد من

الماء إلى أعلى فرفع الحربة بسرعة، ثم قذفها نحوه
فرشقت في جسده، وجذبها العجل سابحاً بها تحت
الماء، ونظر سيناي إلى مؤمن ليجد أن الحبل ينطلق
من يده ويجره العجل المصاب فابتسم وقال:

- انتظر قليلاً. حتى تخور قواه تحت الماء وسأتى
إليك لنجذه سوياً أيها الصياد الماهر.

وأخذ سيناي يكسر قطع الثلج حول الثقب بالبلطة
حتى يصنع فتحة تتسع لخروج العجل من الماء، ثم
أخذ يجذب الحبل مع مؤمن، والكلاب ملتفة
حولهما، حتى استطاعا أن يجذبا عجل البحر الذي
كان سميناً كبير الحجم، فكانت الكلاب تهز ذيلها
طرباً عندما أخذ مؤمن وسيناي يقطعان العجل
بالسكاكين، ويلقيان إليهم بما يسد جوعهم، وبعدما



شبعوا جميعاً ادخروا كمية كبيرة من اللحم لبقية الرحلة. وبدا بعد ذلك أن الشتاء يكشر عن أنيابه،
فها هي العواصف الراجعة قد أخذت تصفق ريحها.

لقد علم مؤمن من سيناي أنها قد يستغرقان طوال الشتاء في السير حتى يصلا إلى الموقع الذي يظنان وجود الكاريبو عنده. ولم يفكر مؤمن من قبل في أى مكان يمكنهما المبيت وقد استغنيا عن القارب فما كان من سيناي إلا أن قال له :

- هيا سنبنى بيتاً الآن.

وتعجب مؤمن، ولكن سيناي لم يكن لديه وقت للشرح، فلقد أخذ يعمل، وعلى مؤمن أن يساعده.
لقد اختبر كثيراً ثلجياً عميقاً، وأخذ يشق ألواح الثلج منه باستعمال السكين شقوقاً منتظمة، وقد استطاع أن

ينحت من الثلج اثني عشر لوحاً ثلجياً كالحجارة،
وأخذ يعاونه مؤمن في صنعها على شكل دائرة
منخفضة الارتفاع عن سطح الأرض وتميل حوائطها
بقوة للداخل ، وكان يمنعها من السقوط حشو الثلج
في الثنايا بين الألواح . . وهكذا فلقد أتما صنع
المسكن وتعجب مؤمن من أنه سيبيت داخل ثلاجة
صغيرة، ولكنه لما دخلها هو وسيناي، وأشعلا دهناً
من دهن عجل البحر استطاعا أن يحيدا البرد إلى
دفء جميل، وكانت أمسيتهما جميلة، وهما يتدثران
بجلد الكاريبو . . وبدا بعض الضيق على مؤمن فقال
لسيناي:

- ليس من الرحمة ولا العدل أن ننعم بالدفء
ونترك الكلاب هكذا في العراء.

فابتسم سيناي وقال :

لقد خلق الله هذه الكلاب، ووهبها القدرة على
معاشة الطبيعة .. اعلم يا مؤمن أن كلاب الهسكى
تنام فى العراء، ولو بلغت الحرارة حد التجمد ..
إنها ترقد دافئة جسمها فى الثلج الذى يكون عازلاً
لها ضد البرد .. ولكن دعك من هذا الأمر وقل لى
حكايته معنا .. لقد احترت فى أمرى .. ما بالك
تهتم بأمر أسرتنا إلى هذا الحد .. رغم أنك غريب
عنا، ولن يغضب أحد منك إذا قررت الرحيل فى
أى وقت شئت؟ فابتسم مؤمن وقال له:

- أنا أدين بالإسلام .. إنه دين الوفاء ..

فتعجب سيناي من هذا الكلام وقال له:

ولكن .. ما الذى دفعك لذلك؟

قال له مؤمن:

- كرم العم مينو معي . . لقد لقيت في بيتكم
كرماً ذكرني بمعنى قول رسول الله ﷺ عندما قال
«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان،
فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول
الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» فأردت أن أكون سبياً
في هذا الخلف الذي سيعطيه الله لأبيك بعدما أنفق
عليّ أثناء ضيافته لي.

ابتسم سيناى وقال:

- والله إن كلام رسولكم لطيب . . ولو اتبعه
الناس لارتاحوا وزاد الفضل وعم الخير والسلام في
الأرض.

وأحب سيناى أن يغير مسار الحديث إلى غيره

فقال :

ولكن قل لي . . . من أين أتيت بمهارة استخدام
الحربة والسهم؟ لقد أعجزتني أثناء لهونا بالسهم عند
البيت .

فابتسم مؤمن وقال :

لقد علمنى أبى كيف أرمى بالسهم والحراب . .
قال رسول الله - ﷺ - « من أحسن الرمى ثم تركه ،
فقد ترك نعمة من النعم » وقال أيضاً « ألا إن القوة
الرمي ، ألا إن القوة الرمي » .

نظر سيناى نظرة دهشة وقال :

- ما هذا . . . أكل كبيرة وصغيرة فى حياتك
تكلمنى بها يكون للرسول قولٌ فيها . . ألم يترك هذا
الرجل مكاناً فارغاً؟!!!

فابتسم مؤمن وقال :

يا صديقي سيناي .. إن الإسلام دين الله الحقيقي . وعلى الإنسان أن يحفظ ويفهم كل ما جاء به الرسول ويتدبره ويعمل به ؛ لأن في ذلك النجاة من التخبط والضياع ..

ساد بينهما صمت ، وبدا أن سيناي يتدبر كلمات مؤمن ، ولكنه كالذي يفر من مواجهة الكلمات فقال لمؤمن :

- أنا قلق على الكلاب وأخشى أن يصيبها مكروه.

- قال مؤمن بعد ما نظر خارج المسكن :

- سيناي ... لقد اختفت الكلاب .. أنا لا أجد لها أثراً.

ولكن سيناي ضحك بشدة وقال له :

- مصمص بشفتيك .. وستسمع الكلاب ترد عليك بنباحها .

ولدهشة مؤمن أن الكلاب قد نبحت من خارج القبة وردت على مصمصة سيناي . فقال سيناي بثقة :

- وهناك الكثير يا صديقي هذه أعجوبة قطبية عندما تنخفض درجة الحرارة يتصاعد من جسم الكلب بخارٌ يبلغ من كثافته حداً يحجب رؤيته تماماً .

فقال مؤمن :

- آه هذا نتيجة ملامسة الهواء البارد لسطح جسم الكلب الدافئ .

وبعد ذلك قضيا أمسية يتحدثان ، ثم ناما يغطان
من شدة الإرهاق الذي أضناهما طيلة اليوم، ثم قاما
يجهزان الزحافة ، وربط سيناى الكلاب فيها ثم
جلس عليها هو ومؤمن ومعهما التجهيزات اللازمة،
وانطلقا فى طريق كان سيناى يعرفه معرفة جيدة.

* * *

من بعيد كان يُرى صفّاً طويلاً من الكلاب، وكأنها تتسابق في إخلاص واستماتة لإرضاء صاحبها الجالس على زحافته ... الجو عاصف رهيب البرودة ... كل شيء كالموت .. الموت يتساقط من كل جهة ، عدا هذه القلوب التي تتناثر هنا أو هناك تبحث عن لقمة تحيا بها، وتسد بها رمق الجوعى من الأولاد ، هؤلاء هم الصيادون من الإسكيمو .. ومثلهم كان سيناي ومؤمن يشقان بالزحافة عنان العاصفة ينطلقان صوب صيد كبير يتطلعان أن يسدا به الدين الذى فى رقبة العم مينوى والد سيناي.

وفجأة جذب سيناي لجام الكلاب لتقف الزحافة، ونثر الثلج الذى تراكم على ملابسه وغطاء رأسه وقال لمؤمن :

- مؤمن... يبدو أننا قد ضللنا الطريق... أنا
لا أعرف في أي اتجاه يمكنني السير .

كانت هذه الكلمات شبه قاتلة... إنها صحراء
الجليد المرعبة.. ولكن مؤمن أراد أن يخفف من
حدة الموقف فقال:

- سيناي... يبدو أنك قد شردت كثيراً أثناء
قيادتك الزحافة، ولا بد أنك مرهق.. هيا نستريح
في هذا المكان.. ونطعم كلابنا وبعد ذلك نحاول
معرفة مكاننا الآن .

فقال سيناي وهو يغالب حيرته :

- يا صديقي... إن الشتاء يهجم هجوماً
سريعاً وإذا ضللنا الطريق سيصعب علينا العثور على
القطيع أيضاً. يا مؤمن.. إنك إن تضل الطريق في

الجليد فإنك تعرض نفسك لأخطار عظيمة، فكل مكان هنا خطر... فإذا لم تعرف المكان... فلن تعرف أخطاره.

وقبل أن يتم سيناي كلامه أحسا بزمجرة جماعية من الكلاب، فجرى سيناي نحوهم ثم حلهم من وثاقهم؛ فسأله مؤمن عن السبب فقال له:

- لأن يكون الكلب طليقاً في هذه الظروف أفضل من تقييده... فهو سيدافع عنا... أننى قلق..

ولما هما بالبحث عن كثيب من الثلج، إذا بالكلاب تزداد زمجرتها وهي تنظر في اتجاه واحد.

ولم يكن غير الدب القطبي « نانوك » هكذا يسميه الإسكيمو... لقد اعتبر هذا الدب أن سيناي ومؤمن وكلاهما فريسة لا يستهان بها، لقد تتبع

فريسته بمهارة فائقة... إنه لا نهاية لصبره عندما يتنوى الصيد، لقد كان يسير نحوهما بوصة بوصة، ثم يريح جسمه الثقيل الأبيض على الجليد... ولم ينسى أن له أنفاً أسود قد يفضح أمره فهو دائماً يغطيه بكف يده؛ ليصبح من العسير تمييزه من الجليد الأبيض.

ولم يكن يخفى ذلك على سيناى عندما قال لمؤمن:

- لا يملأ قلب هذه الكلاب غيظاً بهذه الطريقة سوى... النانوك... الدب الخطير... استعد يا مؤمن.

وفجأة انطلقت الكلاب مجنونة نحو كومة من الثلج لم تكن سوى الدب ولكن الكلاب أيضاً

تعرف كيف تتعامل معه، ذلك لأن اقتراب الكلب من
الدب تكلفه حياته... ولذا فإن الكلاب قد هاجمت
الدب الضخم من مؤخرته فجعلته يتخذ موقف
المدافع، أما سيناي ومؤمن فلقد أخرجوا السهام
والأقواس وأمطراه بوابل من القذائف حتى أنهكاه
بالجراح؛ فسقط متأثراً بها... ولم يفرق بينه وبين
عجل البحر في المعاملة سوى أن له فراء فرح به
سيناي ووعد أن يهبه لمؤمن بعد أن يجهزه كرداء
له. ولاحظ مؤمن أن سيناي لم يعد حزيناً لفقد الاتجاه
فسأله:

-أراك لا تلقى بالاً بمسألة ضل الطريق.

فقال سيناي وهو يبتسم:

صديقي مؤمن... الدب « نانوك » دائماً يتخذ

النور قبلته.. ونحن الآن فى الخريف لذا فهو يتجه إلى الجنوب... وهذا يعنى أننا فى طريقنا الصحيح، ولم نضل الطريق... ولولا ظهور هذا الدب لكنا سنضل الطريق حقاً.

وهكذا استمرت الرحلة بين صعاب ومشاق وعواصف رعديّة رهيبة، وكان مؤمن رغم كل هذا لا ينسى بلده وأمه والهدف الذى يسعى إليه.

وتوالت الأيام حتى كان الظلام الدامس لمدة أربع وعشرين ساعة، ولم يكن يهديهما فى الطريق سوى النجوم التى تُرْصع صدر السماء والقمر... ولقد كان البرد فظيلاً ودرجة الحرارة تنخفض لأكثر من «تسعين درجة» تحت الصفر، فكانت البلطة لا بد أن تدفأ قبل استعمالها؛ وإلا تحطمت إلى شظايا كأنها مصنوعة من

الزجاج.

وفي مكان ما ألقى سيناى عصا الترحال وقال
لمؤمن:

كفانا سيراً يا صديقي . . . سنجعل من هذه المنطقة
مركزاً لنا . . . نتحرك فى أى اتجاه لاستكشاف
الكاريبو، ثم نعود إلى هذا المكان . . . وبالفعل رغم
البرد والعواصف التى لا تهدأ والأصوات الغريبة
وصفير الرياح استطاعا أن يبنيا بيتاً من الثلج،
وحولاه إلى مركز لهما، وفى كل يوم كانا يخرجان
لمسافات ليست طويلة لتتبع أثر الكاريبو، حتى أتى
يوم فيه نبحت الكلاب نباحاً شديداً، فأيقظت سيناى
ومؤمن من النوم وقد شعرا بالظفر . . . وكانت
الشمس فى هذه الآونة تظهر لساعات قليلة فى أول



النهار وتختفي بسرعة؛ فلقد اقترب الربيع مرة أخرى.

وخرج مؤمن وسيناي فأخذا يُسكتان الكلاب، ثم سارا حثيثاً يطلبان الكاريبو حتى أتيا إلى مكان فسيح ووقفا ينظران لقطيع يربو على الألف حيوان، تقف في أمان لاتدرى من أمر صيدها شيئاً... فقال سيناي:

- مؤمن... لقد ذاكرت ما ستنوى عمله جيداً... أليس كذلك؟ لا تقلق بشأن الكلاب... إنها تعرف ما سوف تؤديه... فما علينا الآن سوى تحديد قائد القطيع... فلو عرفناه، وتحكمنا فيه... سنضمن أن يتبعنا كل القطيع بعد ذلك.

وقفنا من بعيد يتابعان حركة الجزر والمد فى شكل القطيع ؛ حتى يعرفا القائد الذى يتبعه القطيع ، وكان واضحاً أن هناك جماعة من الكاريبو تحوى واحداً له قرون عظيمة متشابكة ، وأينما تحرك تحركوا ناحيته وبدأ أنه القائد فقال سينأى مشيراً إليه :

- اسمع يا مؤمن . . . أترى هذين الجبلين . . . إن بينهما ممراً ضيقاً . . . سنعمل على أن يمر القطيع منه ، وسأفعل أنا ذلك بواسطة الكلاب . . . أما أنت فستقف فى الناحية الأخرى من الممر ومعك الأنشطة « الحبل » فإذا برز اليك القطيع فعليك بالقائد ، وتأكد أن المهمة ستكون مستحيلة بعد ذلك إذا لم تنجح فى إلقاء الحبل على قرونه .

لم تكن هناك فرصة تضيع هباءاً . . . فيها هو مؤمن

يتخذ موقعه على الجبل فوق منفذ الممر بحيث كان مرتفعاً عنه ومعه الأنشطة مجهزة... وكانت مهمته صعبة... غاية في الصعوبة... لقد كان المنظر عجيباً عندما صنعت الكلاب نصف دائرة تحيط بالقطيع من الخلف وسيناي يحمل كرباجاً يطرقعه في الهواء، فأثار بكلايه القطيع الذي أصابه الفزع، فانطلق لا يجد طريقاً للفرار سوى الممر، ومؤمن ينظر فلم تدع عيناه هذا القائد... حتى اندفع القطيع بقوة كادت تمزق الجبلين من الجليد... فطوح مؤمن أنشوطته في الهواء، ثم رماها فوق القرون المتشعبة للقائد المندفع، ثم جذبها لتشتبك برأسه، وكان اندفاع الحيوان كفيلاً بإسقاط مؤمن من مكانه على الجبل، فوقع وانفلت الحبل من يده وانطلق قائد القطيع يجر الحبل وراءه، ووراءه باقى القطيع، ولم

يكن يتصور مؤمن أن كلب الهكسى وهو أفضل الكلاب يدرك ما يحدث عندما انطلق وراء القائد حتى إذا لحق به قبض بفكيه على الحبل، ثم جذبه فى الاتجاه العكسى مما ابطأ من تقدم القطيع كله.. فلم يدع مؤمن الفرصة، فهرع نحو الكلب فأخذ منه الحبل، وأخذ يقاوم تقدم الكاريبو حتى وافاه سيناي فأخذا يجذبانه حتى هدأ، وبدأ القطيع كله بعد ذلك كالحملان الوديدة ولم يبق سوى هذا العناق الحار بين مؤمن وسيناي تهتة حارة بنجاح الصيد... وشاركتهما الكلاب ذلك بهز الذيول والنباح المرح.

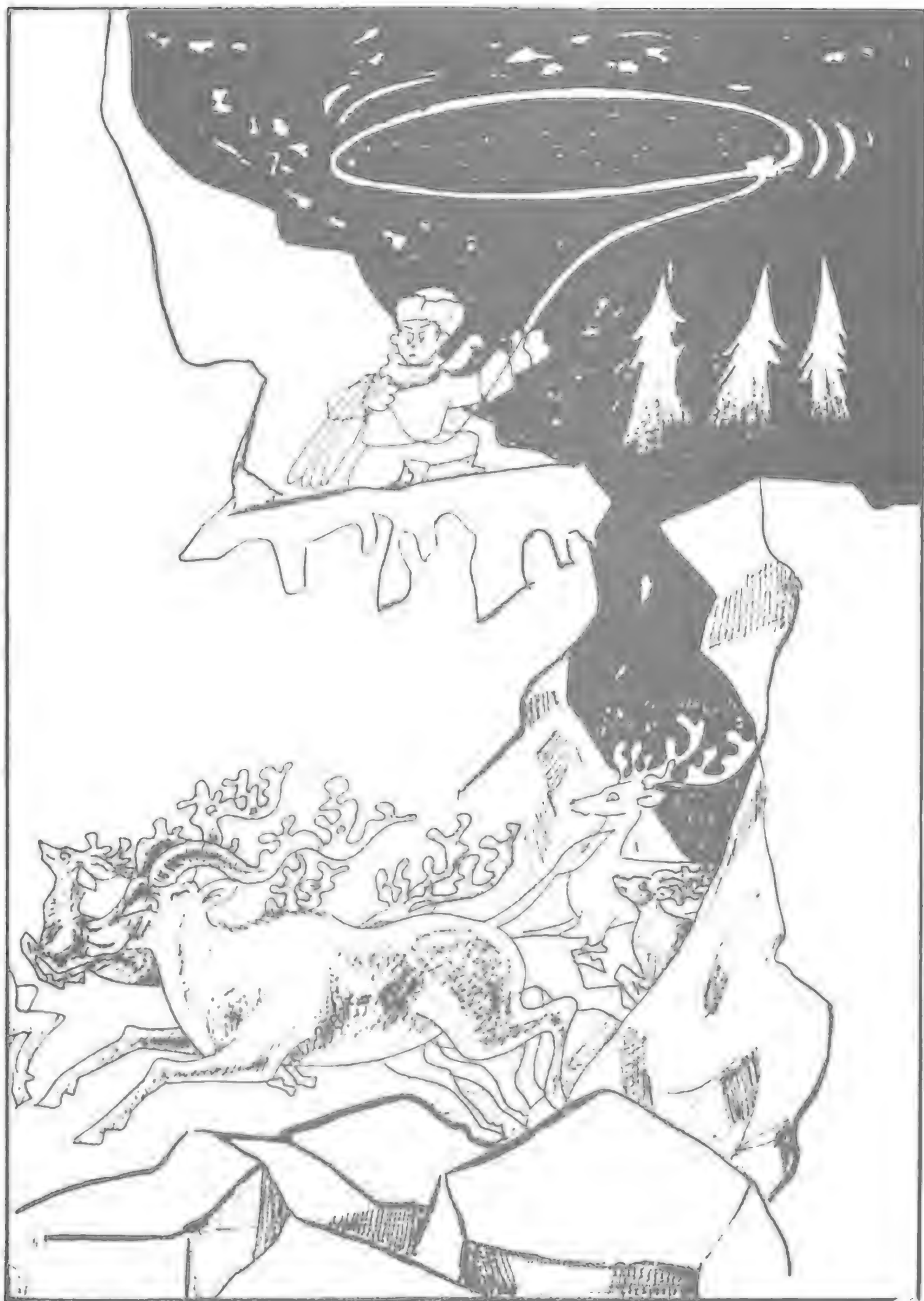
وهكذا تم لهما الجزء الأكبر من المهمة، وأصبح ههما الوصول إلى بلدهما بكل القطيع، ولكن هل هذه مهمة سهلة وسط هذا الظلام الدامس الذى لا

يبدده سوى أشعة غريبة لا يعرف مصدرها من آن
لآخر كضوء البرق مع ما تجود به النجوم ويعطف به
القمر؟ وقال سيناي لمؤمن:

- يجب أن نصل بهذا القطيع إلى بلدنا قبل
اقتراب الربيع وإلا ذابت الثلوج وتعرضنا لأخطار
الغرق والموت... علينا أن نختصر المسافة... هناك
حل واحد... ولكنه يبدو مستحيلاً.

فسكت مؤمن منتظراً أن يكمل سيناي كلامه
فقال:

- لو قطعنا نفس خط الذهاب لاستغرقنا وقتاً
طويلاً يعرضنا للخطر... لذا علينا اختيار طريق
آخر، وأنا لا أعرف غير طريق واحد... ولكنه عبارة
عن طرق وعرة وخطرة... وإن كانت قصيرة بالمقارنة



بالطرق الأخرى .

لم تستمر المناقشة وقتاً طويلاً، فلم يكن هناك مجال للتفكير والتشاور، بل لابد من اتخاذ القرار الحاسم وخصوصاً فى الأحوال الصعبة التى كانا يمران بها بالإضافة لهذا القطيع الضخم من حيوان الكاريبو .

وهكذا كان المنظر بديعاً . اثنان من رعاة البقر فى سن الصبا يدوران كالنحل حول القطيع الذى يتقدم مدفوعاً بالكلاب التى كانت فى الحقيقة هى الحارس الوحيد والقائد الشديد . . وكان المرور بين الجبال تحت هذه العواصف مدعاة للمواساة . . فها هى عاصفة هوجاء رهيبة اشتدت ؛ حتى تبعثر القطيع وفر منه الكثير ، وبذل مؤمن وسيناي جهداً كبيراً فى

الحفاظ على ما تبقي، وإن كانت الكلاب قد طاردت
الماشية التي فرت فأعادت منها الكثير بمهارة منقطعة
النظير.

ولقد أصيب سيناي من جراء هذه العاصفة بالتواء
في كاحله مما زاد الطين بله، وأصبح على مؤمن أن
يقود هذه الجموع وحده أما سيناي فأصبح لا يغادر
زحافته إطلاقاً.

ومن ناحية أخرى كان الساكوم قد زار العم مينوى
عدة مرات متتالية، وهدده تهديداً واضحاً بالطرد من
المكان ومصادرة الممتلكات، ولم يكن بيد العم
مينوى سوى الدعاء لسيناي ومؤمن بالتوفيق فى
مهمتهما الحرجة، والعودة سالمين غانمين.

ورغم كل الصعاب إلا أن مؤمن لم يكن يتوقع أن

عليه تسلق هضبة عظيمة لا يكن السير فيها إلا على شريط لا يسع مرور رجلين عليه في وقت واحد.. فلقد توقف أمام الهضبة وراح يكلم سيناي:
- سيناي... ألم تكن تعلم أن هذه الهضبة لا يمكن اجتيازها بأي حال من الأحوال؟

فقال سيناي وقد أصبح محموراً بتأثير الإصابة:
- عزيزي مؤمن... لا بد من السير مسافة شهر أو يزيد حتى ندور حول هذه الهضبة؛ إنها عظيمة الاتساع إنك إذا مررت بنا فوق جسر الموت فسوف نختصر الزمن مدة شهر كامل.

وقف مؤمن حائراً... إن الهضبة عظيمة الارتفاع، والجسر طريق ضيق جداً يدور حولها لأعلي... نظر إليه فأدرك أن السقوط من فوق

الجسر لا يعنى إلا الموت المحقق .

وكان إقناع الكاريبو القائد بالصعود أمراً شاقاً . . إلا أن مؤمن قد نجح فى ذلك فأصبح هناك طابور يسير فى هدوء وتؤدة . . . سيناي يقود القطيع فى المقدمة ويجر زحافته كلب قوى ومؤمن فى المؤخرة لا يرى المقدمة من فرط طول طابور الماشية . . ولم يكن ذلك كافياً لمنع إحدى إناث الكاريبو من الإنزلاق والسقوط من الارتفاع الرهيب . . أو أن تنهار كرة من الجليد من أعلى الهضبة فتأخذ فى طريقها ثلاثة أو أربعة حيوانات ، لتهدى بهم من على الموت .

وكانت الأنفاس محبوسة حتى أن الحيوانات قد أدركت مدى الخطر بالمشوار الطويل .

فها هى تلصق أجسامها بجسم الهضبة وتدور

معها ببطء شديد... وكلما سقط واحد منها تقدم الخلفى ليأخذ مكانه دون أن ينظر لأسفل... ورغم كل هذا إلا أن سيناي قد عبر حاجر الخطر، وأشرف على أرض واسعة، وسحب وراءه مقدمة القطيع الذى بدا عليه الإرهاق العصبى الشديد... فأخذ يتقدم بحذر حتى وافى قمة الهضبة، والتحق بباقي القطيع، وكانت هذه هى العقبة الكؤود فى رحلتها الشاقة.

وبعد قليل من السير انتخبا مكانا فأقاما معسكراً للراحة وللاستعداد لبقية الرحلة.

ولقد أنشأ مؤمن صومعة ثلجية بسرعة خبير، ثم أسرع فسحب أحد الحيوانات إلى مكان بعيد، وأعمل فيه السيف فنحره ثم قطعه إلى

أجزاء... ففرحت الكلاب بوجبة دسمة غير متوقعة... وحاول مؤمن أن يدخل البهجة على قلب سيناي الذي كان يتألم من الإصابة فأخذ يشوى له اللحم مما جعل الصومعة شديدة الدفء... ولكن سيناي كان يتألم ألماً شديداً وقد تورمت قدمه... فكان كثيراً ما يذهب في سبات عميق... ولقد حاول مؤمن بعد تمام الراحة أن يحصل منه على شفرة الطريق أو الاتجاه الصحيح... إلا أن سيناي قد بدا أنه سيء الحال، وأنه يحتاج لراحة وعلاج فلا قدرة لديه على الكلام، ولا وعى لديه لحسم الأمور إطلاقاً.



خرج مؤمن من الصومعة ووقف حائراً يفكر فى
أى اتجاه يمكنه السير؟ . . . إنه لا يعرف المكان ولا
دلائله . . . وفجأة زمجرت الكلاب ونظر مؤمن ليرى
شبح صياد يأتى من بعيد، فجد فى السير نحوه
وقد فرح لذلك فرحاً شديداً.

ورفض الصياد دخول الصومعة بعد أن وقف ينظر
إلى القطيع . . . وكان يبدو على هيئته السفر
الطويل، ولكن مؤمن لم يطمئن للامحه . . . فلقد
كان للرجل غرض قد أتى من أجله ففاجأ مؤمن
قائلاً:

- اسمع يا بني . . . ماذا فى الذى يعطيك جوهرة
ثمينة . . . لا تباع بثمن . . . نظير أن تهبنى هذا
القطيع . . . وأنت فى ظروف طيبة وهذا صاحبك

سيموت فى صومعته... ولن تعرف طريقك
وستضل، وسيغرق القطيع منك فى الربيع الذى
اقترب، أو سيخرج عليك قطاع الطرق، سيدبحونك
قبل أن يذبحوا واحداً من الكاريبو.

دهش مؤمن دهشة كبيرة... كيف عرف الرجل أنه
قد أتى من أجل جوهرة... وكيف عرف بمرض
سيناي، وكيف عرف أنه لايهتدى للطريق، ولكن
الرجل عاد يزيد من حيرته فقال:

- جوهرة ثمينة... أنا قد أتيت من عند العم
مينوي؛ لأبحث عنكما... إنه أرسلنى إليكما حتى
تعودا بلا مشاق ولا متاعب... فهو قد سدّد دينه
للساكوم... ها... قرر... وبسرعة.

بالرغم من الجو البارد إلا أن الدماء قد غلت فى

رأس مؤمن، وهو لا يكاد يصدق الحوادث، فها هو أمام مصيبة أخرى.

وفكر بسرعة، فإذا كلام الصياد متضارب متناقض.. وساوره الشك والريبة فيه فقال له بحزم:

- أنا أرفض مساومتك أيها الرجل... ولا بد أن أكون وفياً.

فقال له الرجل وقد أخرج من سترته جوهرة فائقة الجمال:

- ستندم... ستندم... ها هي الجوهرة... هيا خذها واترك لي أمر القطيع.

فرد عليه مؤمن وقال له:

- وأنا لا يمكن أن أخون سيناي والعم مينوى

وأملى في الله أن يجعل بعد العسر يسراً إن شاء الله.

فقال له الصياد وقد بدا عليه الغضب:

- أنت غلام صعب المراس... إنها صفقة

رابحة... اسمعني... إنك سوف تموت هنا.

فهز مؤمن رأسه علامة النفي وقال له:

- يبدو أنني قد عرفت من أنت... اذهب وإلا

أطلقت عليك الكلاب تنهش لحمك... أيها

الإبليس...

- وقبل أن يتم مؤمن كلامه لم يكن للصياد أثر في

المكان، وكأن الأرض قد ابتلعتة، ودخل مؤمن يجرى

نحو سيناي ليجده في حالة جيدة.

فقص عليه الأمر وأدركا أن الشيطان كان يدبر

مؤامرة ليجعل مؤمن يخون الأمانة . . . إلا أنه لم
يفلح وعاد القطيع يسير فى الاتجاه الصحيح
وسيناي يتمثل للشفاء .

وهكذا أصبح أمل النجاح منهما قيد أنملة . . . لقد
كان عدد القطيع مبشراً بثروة كبيرة أما المسافة فلقد
أصبحت قصيرة إلى حد كبير ، وأصبح القطيع أكثر
وداعة من قبل ، وكأن الحيوانات قد تعرفت على
صاحبها .

وأثناء السير سمع مؤمن ثمة همس يأتى إليه من
بعيد فتوقف عن السير وقال لسيناي :

- أسمع؟ هناك من يتكلم يا سيناي؟

فابتسم سيناي وقال له :

- ما زالت تتعلم يا صديقى من غرائب



بلادنا... ففي درجة باردة من الحرارة ينتقل الصوت لمسافات أبعد فيمكنك أن تسمع نباح الكلاب على بعد عشرة أميال أو يزيد، كما أن حديثنا هذا يمكن أن يسمعه الشخص على بعد نصف ميل فغر مؤمن فاه من غرابة حديث سيناى، ولكن هذا لم يثنيه عن محاولة متابعة ما يسمعه... فقال لصديقه:

- اسمع يا سيناى... اسمع... إنها أصوات بعض الرجال... لقد سمعت كلمة « القطيع » عدة مرات.

انتبه سيناى وأصغى السمع فإذا بهما يسمعان حواراً خطيراً وإن كان مشوشاً.

وكانت الكلمات التى تصل إليهما « نستعد... السهام والحرايب... القطيع... بعد ساعة من

الآن... اثنان... نطوق... ثروة... أحدهما...
فلنقتلها إذن.»

ارتعدت أوصال سيناى لما سمع هذه الكلمات،
وبدا عليه الخوف ولكن مؤمن سأله:

- ما الذى يخيفك يا سيناى؟... أهنالك خطر؟

فقال سيناى:

- هذه الأصوات لا تبعد عنا كثيراً وأنهم بين أربعة
 وخمسة رجال... ويبدو أنهم من قطاع الطرق، إن
كلماتهم تدل على أنهم يتتبعوننا، وأن حملتهم علينا
قد اقتربت.

فقال مؤمن:

- إذن ليس أمامنا سوى ساعة واحدة حتى نحتاط

للأمر.

ولكن بدا التجهم على وجه سيناي ، وهبطت قطرات العرق الباردة من جبهته وكأنه قد استسلم لليأس.

ولكن مؤمن أخذه من ذراعه وقال له :

- لا تيأس يا رفيقي .. إن الله معنا .. لا تحزن .. ألا تعرف قول الله تعالى في هذا الأمر؟

فقال سيناي :

- ماذا قال في هذا الأمر أيضاً؟ .. والله قد ضعنا .. ولا أعتقد أن في هذا الذي ستقول أى منجاة لنا .

فقال مؤمن :

قال تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد
جمعوا لكم فاحشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم
يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل
عظيم ﴾

كادت الدموع أن تهبط من مقلتي سيناي وقد تأثر
بكلام الله تعالى وقال:

- الله... ما أحلى هذا الكلام... نعم نحن
بحاجة لعون الله... وبحاجة للشجاعة... حسبنا الله
ونعم الوكيل.

فرح مؤمن بتقبل سيناي للأمر فقال له:

- إن ساعة واحدة تحتاج منا لمجهود

عظيم... اسمعني يا سيناى.. لا بد أن هناك مكاناً
 سنبلغه بعد ساعة، وهم يتوقعون ملاقاتنا
 فيه... لذا... فعلينا أن نتوقف هنا، ونرى ما
 سنفعله... اسمع... إن الحيلة والخدعة هى التى
 ستقذنا... ونحن لا قبل لنا بالقتال ومعنا هذا
 القطيع... عليك بإتباع أوامرى كلها من الآن.

عليك أولاً بمحاولة إجلاس القطيع مطروحة أرضاً
 بأن تبدأ ذلك مع قائدهم باستخدام الكرباج ثم انثر
 عليهم فرشاً من الثلج حتى تخفيهم عن الأعين، أما
 أنا فساخذ الزحافة وسأتمجه فى الناحية العكسية مسافة
 نصف الساعة وهناك سأوقد ناراً ثم أتركها وأعود
 إليك لأساعدك، ولا شك أن هذه العصاة عندما لا
 تجدننا ستتجه نحو النار ونكون نحن قد خرجنا من

مجال مراقبتهم .

ولم يكن هناك غير هذا الحل . . . فلقد انطلق مؤمن على زحافته حتى أتى مكاناً فأشعل فيه جذوة من النار وربط بعض الحبال الصغيرة فى قطع من عظام الكاريبو وقرونه . . . فكان الهواء يضربها فتصنع صوتاً منتظماً، وثبت العصا جيداً فى الجليد، ثم استدار عائدا بسرعة حتى وصل إلى سيناى الذى قد نجح فى نثر الثلج المبشور فوق القطيع والكلاب، فأصبح لا يرى من بعيد إلا كأنه جزء من الجليد الأبيض الذى يغطى المكان . ثم جلس مؤمن وسيناى وأخفيا نفسيهما جيداً . ومرت ساعة فإذا بأصوات عصابة قطاع الطرق تقترب، وظلوا واقفين يبحثون عن القطيع فى حيرة بالغة، ويتلاومون ويتصايحون .

فقال أحدهم:

- صدقونى يا إخوانى... لقد تتبعتهم حتى هذا المكان... أين ذهبوا إذن؟ هل انشقت الأرض بهم؟
- وقال ثان:

- المصيبة أننا لا نعرف وجهتهم... لو عرفناها
لانتظرناهم هناك... أيقنون قد ساروا فى اتجاه
الشرق؟

فقال ثالث:

- أنصتوا قليلاً... إنى أسمع صوت حوافر
الكاريبو من هنا... إنها من هذا الاتجاه.
وصوبوا أبصارهم ، فهتف الرجل:

هناك... أنا أرى النار... ها هى النار على البعد

يا إخواني .

ولما لمحوا الغازات المتصاعدة من النار التي أشعلها
مؤمن صاحوا صيحة المغنم ، وانطلقوا يجرون في
اتجاهها .

وبعد أن ابتعدوا قام مؤمن وعانق سيناى فرحاً
بالنجاة ، وقال مؤمن :

- علينا بالإسراع يا سيناى . . الإسراع فى نفس
اتجاهنا . . . هيا .

ولم يكن باقياً فى الرحلة إلا مسافة بسيطة قطعوها
جميعاً حتى مشارف الأرض التي يعيش بها العم
مينوي . . فكان الرجال يشاهدون القطيع من بعيد ،
فيقتربون ليفاجأوا بسيناى ومؤمن فيهنئونهما ، وأعينهم
تفيض بالإعجاب والدهشة . . . أما النساء فلقد

انطلقت حناجرهم بالغناء والزغاريد... الكل كان يعرف العم مينوى وولده سيناى... وكانوا يعرفون أن مينوى تاجر شريف كما هو صياد ماهر. والفرحة عمت أرجاء البلد والقطيع الكبير يقترب من قرية مينوى الصغيرة... إن هذا الصيد يعني حياة رغدة لكل البلدة وما حولها... ذاك لأن مينوى لا يحب الربح الكثير... إنه دائماً كان يصطاد مع رفاقه، ثم يبيع للناس ما صاده بأقل الأسعار، فأحبه الناس حباً كثيراً، ولولا عظم حجم الدين الذى فى رقبته للمدعو ساكوم... لكانوا جمعوه له ، ولكنهم فى هذه البلاد يعانون فقراً مدقعاً.

وانتخب مؤمن وسيناى مكاناً رحباً آمناً فأوقفوا فيه القطيع، فأقبل عليهم أهل القرية يهتئونهم، ولكن أحد الرجال قال بلهجة حزينة:

- يا سيناي ... أسرع يا ولدي .. فالساكوم سيبيع
داركم الآن وبقية ممتلكاتكم.

لم يفكر سيناي في أى شئ بل ترك القطيع لمؤمن
وجرى نحو بيت أبيه مينوي، فوجد الساكوم ورجاله
على وشك عمل المزاد لبيع الدار، ومينوي مطروح
على فرشة من الجلد حزيناً، وبجانبه زوجته والدة
سيناي... فلما رأى سيناي سرّاً به وصاح للساكوم:

- أيها الساكوم... توقف عن البيع...

وارتمى سيناي في أحضان أمه وأبيه ثم قال
للساكوم:

- توقف أيها الرجل... سنسد دينك في خلال
أيام.

ولكن الساكوم قال:

- ولا ساعة أخرى يا صديقي .. هذا مرسوم حكومى بذلك .

لم يكن مؤمن الذى كان يقف بجانب القطيع ليدخر وقتاً آخر... فلقد أخذ يبيع من الحيوانات لكل من رغب فى الشراء ، بأقل الأسعار ، والناس قد تراحموا عليه وكأنهم كانوا يتابعون رحلته من البداية .

وفجأة توقف مؤمن عن البيع ، وأرجأ هذه العملية لوقت آخر ، ووعد الناس بذلك فلقد أصبح فى يده مبلغ الدين ويزيد .

وكان سيناى يحاول أن يثنى ساكوم ورجاله عن مسألة البيع ، فإذا بمؤمن يقتحم الجمع رافعاً يده بالمال للساكوم أمام الناس وقال هاتفاً :

- هاك مبلغ الدين أيها الرجل... أوقف مسألة المزايا.

لم يصدق الساكوم نفسه وهو ينظر للمال في يده، ولم يصدق مينوى العجوز نفسه أيضاً من غمرة فرحته، ولم يشعر بالشلل الذى أصابه من قبل، فلقد أراد أن يحتضن مؤمن ويقبله؛ فقام من فراشه يجرى نحوه ويقبله، ولم يفطن إلا على أصوات الناس وهم يتعجبون منه... كيف مشى؟!.. لقد شفى مينوى.. لقد شفى مينوى.

ولما نظر لحاله ولوقوفه على الأرض الذى لم يكن قادراً عليه منذ شهور مضت؛ فرح فرحاً عظيماً، وأخذ الناس يقبلونه ويقبلهم حتى أنه فى غمرة فرحته احتضن الساكوم نفسه فسأله:

أيها العم مينوي... من هذا الشاب الذي بصحبة
سيناي؟ .. وما وجه القرابة بالنسبة لك؟
فبادره عليه مؤمن قائلاً:

- أيها السيد الوقور... إن العم مينوي قد أنقذني
من الموت، وإن ما فعلته معه ردٌ للجميل ووفاءً له،
وأنا من مصر ولقد جئت هنا في رحلة.
فقال له الرجل:

- وهل عرضت نفسك لكل هذه المخاطر من أجل
صياد لا تعرف عنه شيئاً، فقط لأنه أكرمك؟!.. لقد
غلبتني بأخلاقك.. وكشفت لي عن مساوئي وعدم
صبري على دين الرجل، لقد علمتني أيها الفتى
درساً بليغاً،... ها هو الدين.. لقد تنازلت لك عنه
أيها العم مينوي.. وبارك الله لكم في صاحبكم



هذا... وإن له عندى هدية... هى أغلى ما يعطيه
رجل الإسكيمو إلى غريب من بلاد نهر
النيل... هذه الياقوتة الغالية... لقد أهدانى أياها
شيخ مصرى عندما كنت شاباً صغيراً.. وها أنت
أيها الفتى المصرى الوفى تستردها.. خذها هدية منى
لك.

نظر مؤمن إلى الجوهرة مبهوراً وتذكر على الفور
أمر التاج وأدرك أنها جوهرة الوفاء وسرح بخياله
وتخيل كيف تكون سعادة والدته بعودته سليماً معافاً
من هذه المغامرة الشاقة...

تمت بحمد الله تعالى

وإلى اللقاء.. مع مؤمن فى...

«جوهرة البريق الغامض»..

وإلى اللقاء مع ... جوهرة البريق الغامض «7»

قال ريحان :

أن هناك حيوان خرافي يسكن بطن الجبل ،
وعندما يخرج من كهفه تلمع عيناه بهذا البريق إنه
يؤكد ذلك ويقول أن هناك شهود عيان قد أكدوا
رؤيتهم لهذا الوحش وتعرضوا له ثم نجوا منه
بأعجوبة ..

مع تحيات
دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

تمتع مع مؤمن في :

- ١- جوهرة الكهف المسحور .
- ٢- جوهرة البحر السابع .
- ٣- جوهرة البركان الأحمر .
- ٤- جوهرة مملكة الموتى .
- ٥- جوهرة الأدغال المتوحشة .
- ٦- جوهرة الصقيع المظلم .
- ٧- جوهرة البريق الغامض .
- ٨- جوهرة المدينة المتحجرة .
- ٩- جوهرة ميناء المذبح .
- ١٠- جوهرة الرمال الملتهبة .

مع تحيات

دار الدعوة